(الخامس) ان يكون هذا مختلفا باختلاف قصد القائل ونيته. فقول الرسول عليه السلام في هذا
الحديث «السيد الله» منكرا على من قالوا له ذلك انما خاطب به أولئك الجماعة وحدهم لانهم كانوا يقصدون
باطلاق السيد على الرسول معنى لا يليق بالمخلوقين وانما يليق بالخالق عز وجل لما جاءت الاخبار المتكاثرة
التي فيها اطلاق السيد على غير الله انما وردت بالمعنى الصحيح اللائق بالمخلوقين. وهذا التوجيه هو الذي اشار
اليه الرافضي. وقد يصح هذا لو وجد دليل على ان أولئك القوم الذين خاطبوا الرسول بالسيادة كانوا
يقصدون به معنى خبيثا باطلا في حق المخلوقين والمعنى القبيح الباطل الذي يعنيه هؤلاء والذي يعقلون
انه لا يصح اطلاقه على المخلوق هو اعتقاد الربوبية والالوهية فيه وبعيد جدا ان يكونوا قد
ارادوا هذا المعنى بقولهم انت سيد قريش أو انت سيدنا وهذا اللفظ في كلام العرب لا يحتمل هذا المعنى
على أنهم لو كانوا ارادوا هذا المعنى لكفروا به ولو كفروا لما كفى في ادخالهم في الاسلام ان يقال لهم «السيد الله»
ولو صح هذا أيضا لانكر عليهم المعنى الذي قصدوه دون اللفظ الذي قالوه ولو صح أيضا
بلغه أن يريد الصحابة وان وافقوه على الرسول لا الاسلام باطلاق السيادة معنى الربوبية أو الالوهية لامكنه أن
يريد هؤلاء الجهال المعاصرون واشباه الجهال بهذه الكلمة هذا المعنى ولكن الرافضي وغيره من
المبتدعين والمدافعين عن المبتدعين يأبون ان يكون أحد ممن يدعي الاسلام يريد أو يقصد هذا المعنى أو يفكر فيه
بل يزعمون لهم ان جميع اقوالهم واعمالهم صحيحة سليمة من الضلال والباطل. (السادس) ان هذا الحديث محمول
على كراهة المدح في الوجه وعلى طلب التواضع. اشار اليه ابن الاثير في النهاية كما تقدم. وما نظنه هذا
يصح لأن اقوال الرسول محمولة على التبليغ فلا يمكن ان ينكر على الرسول المدح او ينفيه تواضعا اذ لو
فعل ذلك لما امكنه ان يعرف ما كان حقا وباطلا مما كان تواضعا وحياء. ولو صح
هذا الزعم أيضا لامكنه ان ينكر صلى الله عليه وسلم حقوقه الواجبة كمثل
النبوة والرسالة وسائر تلك الفضائل والمعجزات أو لانكر مخاطبته بها ومواجهته بها لاجل التواضع والحياء
وهذا باطل بالاجماع على ان تواضع النبوة أكبر من ان يدل عليه بمثل ذلك. ونفوس الانبياء والرسل لا يمكن
ان يحوم حولها ولا ان يلم بها شيء من هذه الاعراض الناقصة كالكبر وامثاله حتى تحاول تنزيهها
وطرده باشباه هذه العبارات (السابع) ان يكون صلى الله عليه وسلم قد انكر ان يدعى
باسم السيد والسيادة وطلب ان يدعى باسم النبي والنبوة لان النبوة اعظم من السيادة لا سيما
السيادة مما يطلبه على زعمائهم ورؤسائهم الدنيويين وليست كذلك النبوة لانها هبة الهية لا تنال
بالاسباب والقوانين. اشار الى هذا المعنى ابن الاثير في النهاية ايضا يقول سودوا للحرب والذي
ادعوني نبيا ورسولا كما سماني الله ولا تسموني السيد كما تسمون رؤساءكم فاني لست كأحدهم ممن يسودكم
في اسباب الدنيا. وهذا باطل من وجهين أولهما ان المعنى لو كان ما ذكروا لما جاز ان يقول «السيد الله»
اذ لا يجوز ان ينفي السيادة عن نفسه لانها اقل من حقه عليه الصلاة والسلام ثم يثبتها لله. وثانيهما انه
لو كان ذلك كذلك لما جاز اطلاق السيد والسيادة على الرسول ولا على غيره من الرسل صلى الله عليهم وسلم لانه عليه
السلام اذا نفى شيئا عن نفسه لانه دون حقه وادنى من رتبته كان اطلاق ذلك الشيء عليه جريمة واثما
لان فيه تنقيصا له. ووجه ثالث أيضا وهو انه لو صح ما ذكر لما اطلق على نفسه الشريفة السيادة بقوله
صلى الله عليه وسلم «انا سيد ولد آدم ولا فخر» وما ورد من الاحاديث الاخرى. فهذه التوجيهات
والتأويلات ما أحسبها صحيحة ولا أحسب شيئا منها يصح ويثبت للبحث والمقاومة الحرة. والذي
نراه في هذا الخبر شيئان أحدهما ان يكون صلى الله عليه وسلم قد كره مخاطبته بالسيادة وباسم السيد وان كان
ذلك جائزا ومباحا وصادقا على سبيل الاخبار والرواية فليس يكره ان يقال فلان
سيد اذا كان ممن يستحق هذا الوصف ويكره ان يقال أنت سيد او يا سيدي او يا سيدي
وان كان ذلك المخاطب عاملا لوصف السيادة جديرا به لان الخطاب والمواجهة من
الوقيعة والملق والتأثير ما ليس في الاخبار والاطلاق. وقد يقوي هذا ان الرسول صلى الله عليه وسلم لم
يكن يخاطب اصحابه ولا الناس بالسيادة والتسييد مع انه اطلق ذلك كثيرا على بعضهم في الاخبار الجارية من
الخطاب ويقوي أيضا ان اصحابه صلى الله عليه وسلم لم يكونوا يدعونه ولا يخاطبونه بها. وما نذكر
انهم خاطبوه به بعد تلك الوفد هذا الحديث الذي انكر فيه خطابهم. أما قوله صلى الله عليه وسلم